AL TURATH Journal. **(July 2021), volume 11, issue 03**

النقد التاريخي للتوراة عند ابن حزم من خلال كتابه الِفصل في الملل والأهواء والنحل

Historical criticism of the Torah according to Ibn Hazm through book Al-Fasl fe al-Melal wa *al-Ahwaa* and *al-Nahl*

Almakd alttarihy liltawrat ʻimda àbm hazm mim hilal kitabihi alfisal fi almilal wal'ahwa' walnihal

ريان برحال*

كلية أصول الدين، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 25000، قسنطينة، الجزائر.

Rayene BERREHAL

College of Fundamentals of Religion, Department of faith and comparison of religions, Amir Abd Al Kader University, Constantine, 25000,**ALGERIA**.

rayeneberrehal78@gmail.com

ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-4593-614X

تاريخ الاستلام: 2021/02/13 تاريخ القبول: 2021/05/31 تاريخ النشر: 2021/07/01

لتوثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

برحال، ريان، جويلية 2021. النقد التاريخي للتوراة عند ابن حزم من خلال كتابه الِفصل في الملل والأهواء والنحل. *مجلة التراث*، المجلد 11، العدد 03، من ص 219، إلى ص 257. [*ISSN: 0339-2253* *E-ISSN 2602-6813*].

TO CITE THIS ARTICLE: Style ISO 690-2010

BERREHAL, Rayene, July 2021. Historical criticism of the Torah according to Ibn Hazm through book Al-Fasl fe al-Melal wa al-Ahwaa and al-Nahl. *AL TURATH Journal*. volume 11, issue 03, P 219, P 257. *[ISSN: 0339-2253 E-ISSN. 2602-6813]*.

*المؤلف المرسل: **ريان برحال**، البريد الإلكتروني: rayeneberrehal78@gmail.com

ملخّص:

عُرف ابن حزم الأندلسي الظاهري بمؤسس علم نقد التناخ بناء على المجهودات التي قدمها في الحقل المعرفي لعلم الأديان خاصة في مُؤلّفه "الفِصل في الملل والأهواء والنّحل" الذي يعتبر من أهم مؤلفاته، فمن خلاله عرفنا منهج ابن حزم في دراسة ونقد الأديان. ويعتبر النقد التاريخي أحد أهم مناهج النقد التي وظّفها في هذا المؤلف الكبير، وهو لليوم من أهم المناهج المعتمدة في الحقل المعرفي المعاصر للنقد الديني في الغرب. فماهي الآلية التي وظّف بها ابن حزم النقد التاريخي على نصوص التوراة وماهي النتائج التي خرج بها كإسهامات في علم الأديان؟

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج الاستقرائي في جمع وتركيب الأفكار من مؤلّف ابن حزم "الفِصل في الملل والأهواء والنحل" قصد الوصول إلى نتائج صحيحة منطقية لأبعد حد. كذلك استعنا بالمنهج التحليلي بغرض الوصول إلى فهم صحيح للكيفية التي وظف بها ابن حزم منهج النقد التاريخي في نقده للتوراة.

الكلمات المفتاحية: النقد التاريخي؛ المنهج؛ التوراة؛ النقد؛ النقد الديني.

تصنيفات JEL: O10 – R1 - K10

Abstract:

Ibn Hazm Al-Andalusi Al-Dhahiri was known as the founder of the science of criticism of the Tanakh, based on the efforts he made in the cognitive field of the science of religions, especially in his book "Al-Fasl fe al-Melal wa al-Ahwaa wa al-Nahl" which is considered the most important author among his books. Through him, we learned Ibn Hazm’s method of studying and criticizing religions. Historical criticism is considered one of the most important methods of criticism that he employed in this great author, and today it is one of the most important methods adopted in the contemporary field of knowledge of religious criticism in the West. What was the mechanism by which Ibn Hazm employed historical criticism on the texts of the Torah and what were the results that he produced as contributions to the science of religion?

In order to answer this problem, we adopted the inductive approach in collecting and synthesizing ideas from Ibn Hazm's book "Al-Fasl fe al-Melal wa al-Ahwaa wa al-Nahl" in order to reach correct results that are logical to the fullest extent. We also used the analytical method in order to reach a correct understanding of how Ibn Hazm employed the method of historical criticism in his criticism of the Torah.

Key words: Historical criticism - method - the Torah - criticism - religious criticism.

JEL Classifications codes: O10 – R1 - K10

Résumé:

Ibn Hazm Al-Andalusi Al-Dhahiri était connu comme le fondateur de la science de la critique du Tanakh, sur la base des efforts qu'il a faits dans le domaine cognitif de la science des religions, notamment dans son livre "Al-Fasl fe al-Melal wa al-Ahwaa wa al-Nahl "qui est considéré comme l'auteur le plus important de ses livres. Grâce à lui, nous avons appris la méthode d'Ibn Hazm pour étudier et critiquer les religions. La critique historique est considérée comme l'une des méthodes de critique les plus importantes qu'il ait employées chez ce grand auteur, et c'est aujourd'hui l'une des méthodes les plus importantes adoptées dans le domaine contemporain de la connaissance de la critique religieuse en Occident. Quel était le mécanisme par lequel Ibn Hazm a employé la critique historique sur les textes de la Torah et quels ont été les résultats qu'il a produits en tant que contributions à la science de la religion ?

Afin de répondre à ce problème, nous avons adopté l'approche inductive en collectant et synthétisant les idées du livre d'Ibn Hazm "Al-Fasl fe al-Melal wa al-Ahwaa wa al-Nahl" afin d'obtenir des résultats corrects et logiques au maximum Le degré. Nous avons également utilisé la méthode analytique afin de parvenir à une compréhension correcte de la manière dont Ibn Hazm a utilisé la méthode de la critique historique dans sa critique de la Torah.

Mots clés: Critique historique - méthode - la Torah - critique - critique religieuse.

JEL Classifications codes: O10 – R1 - K10

مقدمة

ظهر اهتمام العلماء المسلمين ببحث الأديان منذ أقدم العصور خاصة وأنّ القرآن قد خصّ بالذكر أحوال الأمم السالفة بشكل مفصّل، بذكرٍ عقائدهم وشرائعهم وتاريخهم عن طريق القصص القرآني. فعلماء الإسلام الذين برعوا في بحث الأديان قد وجدوا المادة العلمية متاحة أمامهم في كتابهم المقدس إضافة إلى تعايشهم مع الأمم الأخرى في نفس الحيز الجغرافي حيث حدث تبادل ثقافي وإنساني وتلاقح فكري، خاصة في الأندلس مهد الرقي والانتاج الفكري الغزير.

من أبرز علماء الإسلام الباحثين في الأديان والملل، ابن حزم الأندلسي الظاهري الذي ترعرع في جو العلم والعلماء في قصور الأندلس. وهو صاحب الخطوة المهمة في تاريخ الجهود الإسلامية نحو تطوير نقد التناخ خاصة التوراة في كتابه المشهور "الفِصل في الملل والأهواء والنّحل"، ولأجل ذلك عُدّ مؤسس "علم نقد التناخ" عن جدارة علمية أثبتها من خلال إسهاماته الكبيرة في علم الأديان عند المسلمين وعند الغربيين أيضا لأنهم استفادوا من بحوثه بشكل كبير جدا وظهر من علماء الغرب من تأثروا به في كتبهم ورجعوا إلى تحليلاته ومنهجه في النقد.

ابن حزم في كتابه "الفِصل في الملل والأهواء والنّحل" استخدم عدة مناهج نقدية في نقده للتوراة ومن أبرز هذه المناهج "النقد التاريخي". ونظرا لأهمية هذا المنهج في نقد التوراة عند ابن حزم في الفكر الإسلامي وأيضا في الفكر الغربي رأينا أن نخصص هذه الدراسة ببحث النقد التاريخي كمنهج في نقد التوراة عند ابن حزم وكيفية توظيفه والنتائج التي خرج بها في حقل الدراسات العقدية والمقارنة.

طرح الإشكالية الرئيسية

وظّف ابن حزم في مؤلّفه "الفِصل في الملل والأهواء والنّحل" منهجين نقديين هما النقد النصّي والنقد التاريخي، وهذا الأخير هو محور إشكاليتنا.

يرتبط النقد التاريخي بالمنهج التاريخي إلى حد كبير حيث إنّ هذا الأخير منهج عام في جميع العلوم التي تتطلب حضور المادة التاريخية، في حين النقد التاريخي يعتبر الخطوة الثانية التي تلي المنهج التاريخي عموما لأنّه يُوظّف نتائج البحث التاريخي كمعطيات في النقد، وقد تتبّع ابن حزم المادة التاريخية للتوراة من نسخ عديدة للكتاب المقدس حتى يتمكّن من ملاحظة الفروق بين القصص التوراتية. وبناء على هذا نطرح الإشكال الرئيس:

ما هي أهم النتائج النقدية التي توصل إليها ابن حزم في نقد التوراة من خلال توظيفه المنهج التاريخي؟

بالتعرض لتحليل الإشكالية بصيغة أبسط فإننا نبحث عن كيفية توظيف المنهج النقدي التاريخي من طرف ابن حزم على النصوص التوراتية واستخراج الأدلة والتناقضات التي تبين تعرضها للتحريف.

الإشكالات الفرعية

ويتفرع على الإشكال الرئيس إشكالات فرعية ضمنية توجه مسار البحث للإجابة على إشكالية الدراسة الرئيسية، هي:

ما هي الأسس التي يقوم عليها النقد التاريخي للتوراة عند ابن حزم؟

ما هو منهج ابن حزم في نقده لليهودية بوجه عام ومنهجه في نقد التوراة بوجه خاص؟

ما هي اسهامات ابن حزم في علم مقارنة الأديان من خلال منهجه في نقد التوراة؟

هل علم الأديان المقارن ومناهج دراسة الأديان أصيلة في الفكر الإسلامي أم أنّ الفكر الغربي هو السبّاق إليها تقعيدا وتطبيقا؟

أهمية الموضوع

تقدّر أهمية أي موضوع يقبل عليه الباحث بالدراسة في مدى مساهمته العلمية في مضمار البحث والاستقصاء المعرفي. ومن هنا كان للنقد التاريخي للتوراة عند ابن حزم أهمية كبيرة في ميدان الدراسات المقارنة والعقدية الإسلامية والغربية، فلا تزال لليوم مناهجه التي درس بها التوراة مرجعا أساسيا في البحوث العلمية.

التعرف على أحد أهم مناهج البحث في الأديان وهو النقد التاريخي.

التعرف على أحد أعمدة علم العقائد والملل في الحضارة الإسلامية ومدى إسهاماته في إثراء ميدان الدراسات العقدية واللاهوتية حتى وقتنا الحاضر.

التعرف على مواضع التناقض في التوراة التي استخرجها ابن حزم وكذلك الاطلاع على كيفية مناقشته لهذه المواضع.

التعرف على النقد التاريخي كمنهج من مناهج النقد في الأديان ومعرفة تطوراته منذ العصر الوسيط إلى غاية اليوم ومدى أهميته في الدراسات الثيولوجية عند المسلمين والغربيين.

أسباب اختيار الموضوع

في الحقيقة يوجد سبب موضوعي علمي لاختيارنا لهذا البحث، ويوجد بالمقابل سبب نراه من قبيل الدوافع الشخصية الخاصة بنا رغم أنه لم يخرج عن الإطار العلمي.

أولا: الأسباب الموضوعية

تعتبر النظريات العلمية والمناهج النقدية للأديان التي قدمها ابن حزم مهمة جدا خاصة النقد التاريخي ولذلك كان من المهم أن نتطرق إلى بحث هذا المنهج وآليات تطبيقه على النص التوراتي، إضافة إلى التعرف على جملة التناقضات التي استخرجها ابن حزم من تحليل النصوص المقدسة.

ثانيا: السبب الذاتي

لطالما اطلعنا على كتابات كثيرة حول الأديان ومناهج دراستها والملاحظ عليها أنها تنسب دائما أصالة علم الأديان إلى الغرب بامتياز وتتناسى أسبقية علماء الإسلام إلى ذلك. ولأجل ذلك رأينا أن نركز في هذه الدراسة على أحد أهم أقطاب علم الأديان وما قدمه من اسهامات في هذا الحقل العلمي والتي هي لليوم أهم منطلقات أكبر الدراسات الثيولوجية الغربية عند كبار الفلاسفة والعلماء أمثال باروخ سبينوزا وغيره كثيرون.

أهداف الدراسة

تتعلق أهداف البحث بصفة كبيرة بالإشكالات المطروحة فيه:

معالجة إشكالية أصالة المنهج في علم الدين المقارن بين علماء الإسلام والغرب.

التعرف على الشخصية العلمية لابن حزم وأهم مؤلفاته خاصة "الفِصل" ومنهجه فيه باعتباره أهم مؤلفاته اظهارا لمنهجه في بحث الأديان.

التعرف على كيفية توظيف مناهج النقد على النصوص المقدسة من أجل بناء بحوث أكاديمية والوصول إلى نتائج منطقية وصحيحة لأبعد الحدود.

منهج الدراسة

للإجابة على إشكالية بحثنا اعتمدنا على:

أولا: المنهج الاستقرائي: وهو أول منهج انطلقنا منه، إذ بالاعتماد عليه تمّ جمع المعلومات التي تخص موضوع دراستنا من مختلف المصادر والمراجع.

ثانيا: المنهج التحليلي: اعتمدنا عليه في عرض المعلومات التي لابدّ للتعرض إلى تحليلها من مختلف المصادر والمراجع حتى يتبيّن القصد الحقيقي منها.

الدراسات السابقة

ابن حزم أحد أهم علماء الأديان الذين نالوا مساحة كبيرة من الدراسات الدينية باعتباره محدّثا ولغويا وباحثا في الأديان، ومن بين الدراسات التي رأينا أنها تخدم بحثنا ورجعنا إليها بشكل كبير نذكر دراستين:

الأولى: هي دراسة من إعداد بشير كردوسي بعنوان "نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر" وهي رسالة لنيل درجة الماجستير. تناول فيها نقد التوراة في الفكر الإسلامي والفكر الغربي واختار نماذج إسلامية وغربية، ثمّ قارن بين النتائج التي توصّل إليها كل منهما.

استفدنا من دراسته في الجزئية التي تكلم فيها حول منهج ابن حزم في نقد التوراة.

استفدنا أيضا من الجزئية التي طرح فيها سؤالا حول أسبقية المسلمين إلى علم الأديان ومناهج دراستها.

الثانية: اعتمدنا أيضا على كتاب "منهج النقد التاريخي عند ابن حزم –نموذج من نقد توراة اليهود–" لحامد طاه. في هذه الدراسة تناول الباحث البيئة التي نشأ فيها ابن حزم ومدى أثرها في بناء الجانب العلمي لديه. كما تكلم عن منهجه التاريخي النقدي واستدلّ بأمثلة تطبيقية من النصوص التوراتية. وأخيرا شرح وجه التكامل بين النقد المصدري والنقد التاريخي في دراسة ابن حزم للكتاب المقدس عموما والتوراة خصوصا.

صعوبات البحث

تعتبر الصعوبات في مقام البحث العلمي جزء من اللذة التي يجدها الباحث أثناء تنقيبه عن المعلومات وتحليلها. وقد نالت دراستنا حظها من هذا، وجملة الصعوبات التي صادفتنا هي:

تذبذب منهج ابن حزم حيث يعطي فكرة ويعطي مصوغاتها ويؤكد أنها صحيحة فيوهم الباحث صحة الفكرة ويبني عليها ثم يتفاجأ أنّ ابن حزم يعود لينكر ويكذّب هذه الفكرة. وهذا جعل من أسلوبه صعبا نوعا ما.

الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هي صعوبة المادة العلمية في نصوص ابن حزم في كتابه "الفِصل" ولذلك استعنا بالكتب التي تعرضت إلى تحليل منهجه في نقد الأديان.

كذلك تشعّب المادة العلمية في كتابه "الفِصل" خاصة وأنّ ابن حزم مادته دسمة جدا ولم يترك أي نقطة في الأديان والملل إلا وتطرق إليها بالبحث، لذلك حين يقتصر الباحث على موضوع معين من مواضيعه يجد أنه يتيه بين أفكار وتحليلات ابن حزم.

ملاحظات حول المصادر والمراجع.

المصادر: كتاب "الفِصل في الملل والأهواء والنّحل" وهو موضوع دراستنا. رجعنا إليه فأخذنا المتن أو النص الأصلي مع الرجوع إلى تعليق الشراح عليها.

المصادر الغربية المترجمة للعربية والغير مترجمة، المصادر العربية القديمة، والكتب التي مؤلفوها غربيون.

المراجع: الكتب الأخرى التي ألفها كُتّاب مسلمون.

في التهميش حرصنا على ذكر كامل معلومات الكتاب المهمة وقد اعتمنا في ذلك على طريقة

ISO 690/ 2010. كما استعملت اختصار حرف ال "ط" إشارة إلى الطبعة.

خطة البحث:

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي دلالي

يعتبر المبحث الأول بمثابة افتتاح للبحث لأنه يهتم بضبط مفهوم ومدلول أهم المصطلحات في البحث والتعريف بالشخصية المحورية التي يدور حولها البحث.

المطلب الأول: ترجمة ابن حزم وحياته العلمية

أولا: نشأة ابن حزم Ibn Hazm Al Andalousie

ابن حزم الأندلسي الظاهري هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. لُقّب ألقابا كثيرة منها الإمام الأوحد، الحافظ، العالم، ناصر الدين. ولد بقرطبة عام 384هـ (994م) وتوفي عام 456هـ[1].

ابن حزم هو أحد أعلام الحضارة الإسلامية وأبرز علماء الأندلس. كتب في الفقه، أصول الفقه، الأنساب والتاريخ، المنطق، ومقارنة الأديان وأيضا في الأخلاق والحب والأدب العربي. وكان على درجة عالية من الحس المرهف فكان شاعرا وأديبا إضافة إلى تمكنه في الجانب العلمي.

كما أنه اشتغل بالسياسة والحكم، وعُيّن وزيرا أكثر من مرة، إلاّ أنه ترك هذا المنصب بسبب الظروف المضطربة في الدولة الأموية آنذاك وهذا جعله يهجر السياسة تماما ويتفرغ للبحث العلمي فقط.

ابن حزم من العلماء الذين تميزوا بغزارة الانتاج والتأليف. ومع ذلك لم تصلنا مؤلفاته جميعها وقد عرفناها من خلال إشاراته إليها في هوامش كتبه التي وصلتنا، ومن خلال إشارات العلماء الآخرين إليها في كتبهم[2].

ثانيا: آثاره العلمية

ورد في "الفصل في الملل الأهواء والنحل": "نشأ ابن حزم في قصور الأمراء وتربّى على موائد الوزراء وفتح عينيه على جهابذة الفكر والأدب فنهل من ينابيعهم وقطف من بساتينهم وعرف من مقاعد الدرس شوارد اللغة وأسرار الشريعة وفقه الحياة"[3].

ترك ابن حزم مؤلفات كثيرة وهامة بلغت حوالي 24 مؤلفا في شتى العلوم منها الحديث وعلم الرجال والأديان والفقه واللغة وغيرها. نقتصر بالإشارة فقط على بعض منها اختصارا:

إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد.

الإحكام لأصول الأحكام.

أسماء الصحابة الرواة.

إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل.

الفِصل في الملل والأهواء والنحل[4].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل"

يُعتبر كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" أهم كتاب من بين كتب ابن حزم خاصة في مجال الأديان إذ تبيّن من خلاله منهج ابن حزم وطريقته في البحث وأيضا كل المواضيع التي تطرق إليها فيما يخص الأديان[5].

من خلال كتاب "الفصل في المحلل والأهواء والنحل" أخذ ابن حزم فضل السبق في مجال دراسة الأديان ومقارنتها ومناهجها، لذلك نال حظا كبيرا من الترجمة عند المستشرقين الغربيين منهم "ميجيل آسين بلاثيوس" الذي ترجمه إلى الإسبانية مع مقدمة طويلة حول ابن حزم، ومكانته في تاريخ الأديان، وأسبقيته إلى هذا العلم من خلال مناهجه النقدية التي برزت في العصر الحديث عند علماء الغرب بشكل كبير. كما يقول المستشرق "جيب" إنّ ابن حزم كُرّم في الغرب باعتباره مؤسس علم مقارنة الأديان.

ويضيف المستشرق ألفريد جاليوم أنّ ابن حزم هو من أوائل العلماء المسلمين السبّاقين إلى مجال البحث في الأديان[6].

بيّن ابن حزم الغرض من تأليفه لكتابه "الفصل" في مقدمته ومنهجه فيه، إذ أخذ على نفسه الوضوح واجتناب التعقيد، واستيفاء حجج الخصوم[7] إضافة إلى الحجج العقلية المنطقية التي بانت من خلال مناقشته لنصوص التوراة والانجيل واستخراج التناقضات التي تحملها[8].

كتاب "الفصل" مُكوّن من خمسة أجزاء، نذكرها بإيجاز:

الجزء الأول: تناول فيه الفرق المخالفة للحق وناقش أقوالهم ونقدها، وهذه الفرق هي السوفسطائية واليهود والنصارى. حيث ناقش السوفسطائيين بالأدلة العقلية، وناقش اليهود والنصارى بالتوراة والانجيل[9].

الجزء الثاني: تكلم فيه عن التناقض بين الأناجيل الأربعة واعتمد في ذلك على قواعد العقل والمقدمات البديهية. ثم تكلم عن الفرق الدينية الإسلامية وآرائها وأفكارها.

الجزء الثالث: تناول فيه الكلام حول القرآن وإعجازه، ومسائل القضاء والقدر، وخلق الله لأفعال الخلق والوعد والوعيد ومسألة الجبر والاختيار وغيرها من المسائل الدينية العقدية[10].

الجزء الرابع: تناول فيه مسائل حول الأنبياء والرسل والملائكة، وتأصيل مسائل أخروية مثل الشفاعة والميزان وتغيير الأجساد يوم البعث. ثم تطرق إلى مسائل الإمامة والشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة.

الجزء الخامس: تكلم فيه حول مواضيع مختلفة تتعلق بالسحر والمعجزات والجن ونبوة النساء، الفقر والغنى، البقاء والفناء. كما تطرق إلى مسائل كلامية كالعرض والجوهر والجسم والنفس والحركة والسكون[11].

يعتبر كتاب ابن حزم في الفصل في الملل والنحل خطوة مهمة في تاريخ الجهود الإسلامية في مجال الدراسات الدينية النقدية، حتى إنّ كثيرا من الباحثين يعتبرون ابن حزم مؤسس علم نقد التناخ. كذلك من بين أهم كتبه التي أهلته لهذا كتابه "الرد على ابن النغريلة". وقد استعمل في هذين الكتابين منهج النقد النصي والنقد التاريخي[12].

المطلب الثالث: لمحة عن مفهوم مقارنة الأديان

ظهر مصطلح علم الأديان أول مرة كترجمة حرفية لكلمة ألمانية هي

Religions Wissenschaft مع ماكس مولر Friedrich Max Muller الذي استعملها عام 1868م كعنوان لكتابه. وهي تعني حرفيا الدراسة العلمية للأديان.

ثم استعملها الفرنسي إميل بورنوف E. Burnouf في باريس عام 1870م عنوانا لكتابه

Science des Religions والذي وضع فيه عناصر متفرقة خاصة بدراسة الأديان.

لقد احتدّ الصراع بين الدين والعلم في عصر النهضة في الغرب، لذلك لم يكن من الممكن آنذاك الجمع بين هذين اللفظتين في مركب اصطلاحي واحد هو "علم الأديان" أو "علم الدين" وإلا سيبدو الأمر متناقضا.

ظهرت العلوم الإنسانية بقوة في الساحة العلمية ابتداء من القرن التاسع العشر وبلغت ذروتها في التقدم في القرن العشرين، وهي أساسا تعتمد على الفحص العلمي للموضوعات، ولأجل هذا وضعت الدين تحت المجهر كأي مسألة علمية ونشاط إنساني يمكن تحليله كأي ظاهرة في شتى الميادين العلمية مع استبعاد الجانب الغيبي فيها من هذا التحليل[13].

لقد ظهرت عدة تعريفات لعلم الأديان نذكر منها:

تعريف الهولندي فان در ليو Van Der Leeuw: "ما هو موضوع في نظر الدين يصبح هو المحمول في دراسة علم الأديان، فالله هو الذي يعمل في نظر الدين بالنسبة إلى الإنسان. أما العلم فإنه لا يعرف إلا عمل الإنسان بالنسبة إلى الله وإنّ العلم ليعجز عن الكلام عن عمل الله".

يعرفه رويستون بيك E. Roystone Pike قائلا: "دراسة علمية موضوعية تتناول ديانات العالم الماضية والحاضرة، وهذه الدراسة تتوخى دراسة الديانات في ذاتها واكتشاف ما يقوم بينها من نقاط تشابه واختلاف واستخلاص مفهوم الدين بوجه عام، وإيضاح السمات المميزة للشعور الديني، وعلى هذا فإنّ علم الأديان مبحث وسيط يقف بين التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع"[14].

القاسم المشترك بين هذه التعريفات هي أنّ علم مقارنة الأديان هو دراسة علمية موضوعية مجردة من الأحكام المسبقة للأديان بكل مكوناتها من عقيدة وشريعة وأخلاق، وتتبع تاريخه منذ القدم إلى اليوم وإحصاء مختلف التيارات الفكرية التي تناولته بالبحث والدراسة وما أضافته في الساحة العلمية والواقعية.

المبحث الثاني: تطبيقات منهج النقد التاريخي للتوراة عند ابن حزم

تميز ابن حزم بطريقة ممنهجة في تطبيقه النقد التاريخي على نصوص التوراة، لذلك كان من المهم معرفة طريقة توظيفه هذا المنهج النقدي حتى يتسنّى فهم النتائج النقدية التي توصل إليها وتوظيفها في بحوث أخرى.

المطلب الأول: مقاربة مفاهيمية دلالية للنقد التاريخي

أولا: دلالة مصطلح النقد Critique

مصطلح النقد له معنى واسع جدا، إلا أننا سنقتصر على المعنى الذي يخدم دراستنا بشكل أولى:

1: يُعتبر النقد قسم من أقسام المنطق الذي يتناول الحكم إذا ارتبط بعقيدة ترى أنّ العقل يُشكّل المعرفة.

2: أخذ مصطلح النقد منحى آخر مع الفيلسوف ايمانويل كانط[15] حيث أصبح نزعة فلسفية نقدية تقوم على جعل نظرية المعرفة[16] الأساس لكل مذهب فلسفي.

3: يطلق النقد على استعداد العقل منهجيا[17].

4: النقد بمعنى "الفحص" ويطبّق على فحص ظاهرة للحكم عليها.

5: مصطلح العقل النقدي الذي يطلق على كل عقل لا يقبل أي ظاهرة دون التساؤل عن قيمتها سواء من حيث مضمونها وهذا ما يعرف النقد الداخلي، أو من حيث مصدرها هو ما يعرف بالنقد الخارجي. منه خرجت المركبات الاصطلاحية نقد تاريخي ونقد لفظي وغيرها[18].

6: جاء في الموسوعة البريطانية تعريف النقد أنه النقاش المنطقي لأي ظاهرة فنية (علمية)ينقسم على مرحلتين:

- ✓ أ: مرحلة الوصف لظاهرة ما، ثم يأتي التحليل.
- ✓ ب: مرحلة التقييم، أي اعطاء حكم على هذه الظاهرة[19].

يعتبر النقد فعل التحليل والحكم على الظاهرة محل الدراسة.

ثانيا: دلالة لفظة تاريخي Historique

في الأصل كلمة تاريخي هي صفة مشتقة من الاسم الأصلي "تاريخ".

جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا أنّ مصطلح التاريخ في اللغة هو تعريف الوقت. تاريخ الشيء هو وقته وغايته.

أما في الاصطلاح فهو علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية. لكن هناك من يضيف إلى البحث في الأحداث الماضية تمحيص الأفكار وتعليل الوقائع حسب تسلسلها الزماني والبحث في أسبابها، وإذا فعل المؤرخ هذا كان تاريخه انتقاديا بمعنى أنّ البحث التاريخي في هذه الحالة يُصبح موسوما بالنقد.

في حال أن استخرج من بحث الوقائع الماضية أخلاق الأمم السالفة وطرحها على أرض الواقع يصبح التاريخ في هذه الحالة تاريخا أخلاقيا.

أما إن تجاوز ذلك إلى البحث في الوقائع لمعرفة كيفية حدوثها وأسباب نشوئها كان تاريخا فلسفيا[20].

ثالثا: ضبط مفهوم المركب الاصطلاحي النقد التاريخي Le Critique Historique

نشأ النقد التاريخي نتيجة اهتمام علماء الإسلام بالدراسة التاريخية للكتاب المقدس بشكل عام والتوراة بشكل خاص. وقد اعتمدوا في ذلك على المادة العلمية التفسيرية للقرآن الكريم المتعلقة بتاريخ بني إسرائيل وأنبيائهم وخاصة تلك القصص المشتركة بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في التوراة.

أخضع العلماء المسلمون المادة التاريخية في التناخ للبحث والنقد والتحليل العلمي وكانت نتيجة هذا البحث ظهور منهج نقدي تاريخي للنص المقدس.

مصطلح النقد التاريخي أو التاريخ النقدي هي مصطلحات تعبر عن مجموعة المناهج التي تركز على الطابع التاريخي للكتاب المقدس، والتي يلعب فيها تاريخ الكتاب المقدس دورا أساسيا. ولا يخفى عنّا أنّ الكتب التاريخية والأناجيل وأعمال الرسل تتضمن إشارات إلى الأحداث والأشخاص المهمة في معرفة تاريخ العهدين[21].

المنهج التاريخي في اصطلاح علماء مقارنة الأديان اليوم يعني تتبّع نشأة وتطور الأفكار والمذاهب الدينية من خلال المراحل التاريخية المختلفة وتحديد الدور الذي لعبته العوامل المختلفة التي تعامل معها الدين أو الأديان في هذه المراحل. فهذا المنهج لم يهتم بالمعلومات التاريخية فقط وإنما تجاوزها إلى الاهتمام بالعوامل التي أثرت في الأديان من داخل التاريخ نفسه، وهو ما يُعرف باسم Material philosophy of History [22].

من خلال التعريفات السابق ذكرها نلاحظ أنه يوجد أمامنا مصطلحين هما: المنهج التاريخي، والمنهج النقدي التاريخي، والعلاقة بينهما هي علاقة تكامل حيث إنّ المنهج التاريخي مرحلة سابقة للمنهج النقدي التاريخي، وذلك لأنّ الناقد ينطلق من التنقيب في الأحداث التاريخية حتى تكون لديه معطيات تاريخية معينة ثم يُوظفها في النقد.

المسلك الذي تفرضه طبيعة المادة المعرفية في التاريخ هو البدء من الوثيقة ثم الانتقال إلى سلسلة العمليات النفسية وهي الكتابة، واللغة، المعنى المجازي، والمعنى الحقيقي، ودراسة الحالة النفسية للمؤلف في زمانه[23].

حيث يقوم النقد التاريخي على أساسين:

التحليل: فصل الوقائع الجزئية المعروضة في الوثائق التاريخية وتحليلها على حدى.

النقد: تقدير مدى التطابق بين المعلومات الواردة في الوثيقة التاريخية وبين الحقيقة الواقعية[24].

بلغ النقد التاريخي ذروته في التقدم العلمي مع كل من جون أستروك J. Astruk وريشارد سيمون Richard Simon وباروخ سبينوزا Baruch Spinoza في القرن السابع عشر[25]. واستمر مع فرانسوا فوليتير François Voltaire تحت تأثير المدرسة الهيجلية التي روج لها إرنست رينان Ernest Renan في القرن العشرين[26].

يمكن تقسيم النقد التاريخي إلى نوعين:

أولا: النقد الخارجي Critique Externe: يطلق عليه أيضا نقد التحصيل، يهتم بالنصوص والوثائق من حيث مضمونها وطرق انتقالها. ويبقى النقد الخارجي قاصرا في غياب النقد الداخلي الذي يعمل على التأكد من صحة المعلومات التي أثبت النقد الخارجي صحتها. وتحري مدى صدق المؤلف وكذبه في نقل المعلومات[27].

ثانيا: النقد الداخلي Critique Textuelle: يتمثل في الدراسة الداخلية للنص الديني التي تعرض للتناقضات والمغالطات بين النصوص في التوراة.

هذا السياق يتداخل مع ما يعرف بالنقد النصي والذي هو أيضا أحد أهم المناهج التي اعتمدها ابن حزم في نقده للتوراة[28].

قد يظهر تداخل بين النقد التاريخي والنقد النصي لأنّ ابن حزم مزج بينهما وخرج بسياق نقدي شامل للنص داخليا ولتاريخية النص خارجا عن المضمون الداخلي. فقد أكد ابن حزم حقيقة تحريف اليهود للتوراة من خلال دراسته الأسفار وهذا دعّم دراسته للجانب التاريخي لتدوين النص وتناقله عبر الحقب التاريخية بمنهج تاريخي نقدي.

يعتبر النقد المصدري أحد المناهج التاريخية في دراسة نص التناخ عموما ونص التوراة خصوصا لأنّ النقد المصدري يدرس الظروف والأحداث التاريخية وتطوراتها ومدى اسهاماتها في إفراز النص الموجود بين أيدينا اليوم[29].

المنهج التاريخي منهج وثائقي يستقرئ عن طريقه الباحث الوثائق ويحللها ويستخلص منها المعلومات بعد اخضاعها لعملية الاستدلال والاستنباط العقلي وهو منهج له قواعده وخصائصه وخطواته التي تعتمد على الأسس المستخدمة في البحث.

المطلب الثاني: منهج النقد التاريخي للتوراة

تناول ابن حزم التوراة نقدا على ثلاث أشكال هي النقد الديني والنقد النصي والنقد التاريخي؛

- في النقد الديني قدّم نقدا شاملا للديانة اليهودية من حيث العقائد والشرائع والفرق.
- في النقد النصي قام بتحليل النص الديني تحليلا نقديا خارجيا وداخليا، حيث يقوم النقد الداخلي بمقارنة نص تكرر مرتين في نفس النسخة، أما النقد الخارجي فهو مقارنة نص ما مع عدة نسخة أخرى[30].
- أما النقد التاريخي فقد خصصه ببحث تاريخ بني إسرائيل وتقسيمه إلى فترات تاريخية، حيث بيّن خصائص كل فترة منها.

إنّ نقد النصوص القديمة عموما يدخل في إطار المنهج التاريخي النقدي، والنقد التاريخي بدوره يقوم على دعامتين أساسيتين هما: النقد الخارجي للوثائق والنقد الداخلي للوثائق.

بالنسبة إلى النقد الخارجي للوثائق فيتم بنقد مصدر الوثيقة وتاريخ انتقالها عبر العصور وطريقة وصولها إلينا وحالتها التي وصلت بها.

أما النقد الداخلي فهو الذي يتجه إلى تحليل مضمون الوثيقة وما تحتوي عليه من معلومات[31].

يرتبط نقد النص الديني عند ابن حزم بمنهجه العقلي لأنه يطبّق المنهج العقلي المنطقي في التحليل والنقد حتى يصل إلى نتائج صارمة وصحيحة. فقد عُرف بقوة التفكير والاستيعاب والقدرة على التحليل[32].

يظهر نقد التوراة عند ابن حزم على ثلاث مراحل:

الأول: النقد التاريخي والعقلاني في تناوله القصص الواردة في الأسفار الخمسة.

الفحص الوثائقي لتاريخ تناول اليهود للتوراة منذ عصر يشوع بن نون إلى زمن عزرا الكاتب.

الثاني: بحث ابن حزم مسألة صحة نسبة باقي أسفار التناخ إلى مؤلفيها خاصة منها سفر يشوع وسفر المزامير المنسوب إلى داود، والأسفار المنسوبة إلى سليمان وسفر إشعيا وسفر حزقيال[33].

الثالث: تناول فيه نقد الأحبار الذين تناقلوا التلموذ البابلي ورفع عنهم صفة الثقة[34].

وظف ابن حزم النقد التاريخي على النص التوراتي على شكلين:

الأول: نقد داخلي تناول فيه القصص التاريخية المتعلقة بالتاريخ العبري وما تحويه من تناقضات.

الثاني: نقد خارجي تتبّع فيه تاريخ انتقال النص عبر أجيال عديدة من زمن موسى إلى زمن الكاتب عزرا الوراق.

أولا: النقد الخارجي لتاريخ التوراة من موسى إلى عزرا.

تعتبر الحقبة التاريخية بين موسى وعزرا الوراق مهمة جدا عند ابن حزم في نقده للتوراة حيث طرح فيها سؤالا جوهريا مفاده: هل توراة عزرا هي نفسها توراة موسى؟

وتتلخص الملاحظات النقدية التي أبداها ابن حزم حول هذا في:

كثرة خروج بني اسرائيل عن كلام موسى مرارا وتكرار.

فترة القضاة التي تميزت بتذبذب إيماني كبير.

الكفر الشديد واضطهاد الأنبياء من طرف الأسباط العشرة في مملكة إسرائيل[35].

التشكيك في صدق وإيمان الكهنة وعامة الشعب من بني إسرائيل وغلبة الكفر والعصيان والتمرد السريع عليهم.

تعرض الأنبياء للاضطهاد على فترات تاريخية طويلة يشير إلى تعرض النص المقدس إلى الإهمال كون الأنبياء هم المسؤولون عليه.

ضيق المجال الجغرافي الذي وقعت فيه الأحداث التاريخية الإسرائيلية وكون الإسرائيليين هم فقط الأتباع الوحيدين لكتابهم فهذا يزيد من نسبة تعرض النص للضياع[36].

ويضيف عبد الله الشرقاوي مرتكزات أخرى أساسية ومقدمات لابن حزم حول نسبة التوراة إلى عزرا والتي استخلصها من دراسته للأسفار نفسها.

أي أنّ النقد التاريخي الداخلي للأسفار الخمسة ساهم بشكل أو بآخر في النقد التاريخي الخارجي لها ونذكر منها:

أولا: وجود نصوص عديدة تتكلم عن موسى، أي أنّه فيها ليس المتكلم وإنما تُكلِّم عنه، ومثل هذه النصوص تقطع البتة كون موسى هو المؤلف[37]. منها ما جاء في سفر التثنية: "**فمات هناك موسى عبد الرّب في أرض موآب بأمر الربّ**"[38].

يعلق ابن حزم على هذا الاصحاح في كتابه "الفِصل في الملل والأهواء والنحل": "هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة على أنّ توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف كتبها لهم من تخرّص بجهله أو تعمّد بجهله وأنها غير منزلة من عند الله إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته"[39].

ثانيا: الأغاليط والتناقضات التي تشملها التوراة. (وهي ما تطرق إليه خلال النقد الداخلي للقصص التوراتية).

ثالثا: حجم التوراة الحالية الذي يعتبر مضاعفا كثيرا مقارنة بحجمها الذي كانت عليه في زمن موسى[40].

رابعا: على مدى تاريخ اليهود، توالى عليهم حكام كُثر منهم المؤمن ومنهم عابد الأوثان ومنهم قاتل الأنبياء لذلك لم يتمكن الأنبياء من دعوة الشعب إلى اتباع الدين والتمسك بالتوراة اليهودية، إضافة إلى تعرض هذه التوراة إلى التحريف وأحيانا إلى محاولة الاعدام الكامل.

خامسا: الكهنة حفظة التوراة كانوا غير معتدلين وعبدوا الأوثان وخرجوا عن تعاليم التوراة بحد ذاتها.

إضافة إلى أنّ التوراة كانت كتابا يخص معينة ولم يكن لها مؤمنون من الشعوب الأخرى لذلك زادت نسبة تعرضها للضياع والتحريف[41].

يقول ابن حزم في الفِصل في الملل والأهواء والنحل: "نحن نصف إن شاء الله حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام، إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق"[42].

يعتمد ابن حزم على النص المقدس بحدّ ذاته فقد جمع ما أمكن من نسخ التوراة وكتب الأنبياء والشروح والتعليقات عليها المترجمة للعربية. واطلع اطلاعا واسعا على تاريخ اليهود السياسي والديني. كما كان له مناقشات شفوية كثيرة مع علماء اليهود[43].

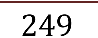
بحث ابن حزم في مسألة حال التوراة قبل تدوينها، وهذا تطلّب منه تتبّع التاريخ السياسي والديني لليهود حتى يصل إلى تحديد المراحل التي مرّ بها النص قبل أن يُقيّد كتابة ومدى تأثيرها على صحة النص أو خطئه. وعن طريق هذا التتبع التاريخي والديني لأحوال اليهود توصل ابن حزم إلى الجزم بأنّ التوراة معرضة للتحريف والتبديل.

ثانيا: النقد التاريخي الداخلي لنصوص التوراة.

نتطرق إلى بيان كيفية توظيف ابن حزم للنقد التاريخي في تناوله القصص الواردة في الأسفار الخمسة مع تعليقه عليها بأسلوب عقلاني ومنطقي.

قدّم ابن حزم وصفا دقيقا ومفصلا للتوراة واستخرج ما فيها من أدلة تبيّن تناقضها وتحريفها، وقد ذهب جمع من العلماء إلى القول أنّه من الجيد لو نظّم ابن حزم أدلته على أساس موضوعي حتى يسلم عمله من التكرار الذي وقع فيه حيث أنه من الملاحظ في كتابه "الفِصل" تكرار لبعض الأدلة التي تخص نفس الموضوع في أكثر من موضع. وقد علّق الذين درسوا ابن حزم واتبعوا موقفه من نقد التوراة أنه لو قام بترتيب للأدلة على أساس موضوعها لأمكننا أن نقول أنه لحق بالمنهج النقدي الحديث بشكل تام[44].

يمك



ن الإشارة إلى المواضيع التي تطرق إليها بمنهج تاريخي نقدي في المضمون التوراتي في هذه النقاط:

الذات الإلهية.

الأنبياء.

تناقض النصوص.

أخطاء علمية[45].

هذه النقاط الأربع هي المحاور الكبرى التي تتبعها ابن حزم أثناء نقده للتوراة، وكل نقطة تندرج تحتها عدة عناوين كبيرة، بمعنى أنّ النقد التاريخي الذي قدمه واسع جدا وشامل، ولذلك رأينا أن نركز على مسألتين فقط من باب الاختصار، وهما:

مسألة الأسماء والأماكن وأسلوب تحديدها وزمن تسميتها والتي قد توصل إلى اختلافها في الدراسات التاريخية والأثرية عن ما هو مذكور في التناخ، بمعنى عدم تطابق بين ما جاء في التناخ مع الأبحاث التاريخية الأثرية.

إنّ هذا الاتجاه الذي تكلم عنه ابن حزم يُعرف اليوم في العصر الحديث باسم "قضايا الأماكن التاريخية " Die Frage nach historische Orten" وهو علم يُعنى ببحث مدى التطابق بين الأماكن الجغرافية والتاريخية المذكورة في التناخ وبين ما هو موجود فعلا في الواقع التاريخي.

مسألة أسماء أنهار الجنة الأربعة المذكورة في التكوين: "**وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن هناك ومن هناك يتشعب فيصير أربعة فروع، اسم أحدها فيشون وهو المحيط بكلّ أرض الحويلة حيث الذهب، وذله تلك الأرض جيّد. هناك المَقلُ وحجر الجزع واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بكلّ ارض الحبشة، واسم النّهر الثالث دجلة وهو الجاري في شرقي أشور، والنهر الرابع هو الفرات**"[46].

يقول ابن حزم أنّ أسماء الأنهار الأربعة كما هي مذكورة في النص العبري: **פישזן גיחוך הדקלפרת** وترجمتها للعربية هي: "فيشون وجيحون وحداقل والفرات". لكن في الحقيقة هي "النيل وجيحان ودجلة والفرات".

تتفق الترجمة التي اعتمد عليها ابن حزم في هذا مع ترجمة الفيلسوف اليهودي سعديا الفيومي (882- 942)[47].

ينكر ابن حزم على اليهود قولهم بافتراق الأربع أنهار عن النهر الذي يخرج من الجنة التي أسكن الله فيها آدم قبل الخطيئة. يقول ابن حزم: "كل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة الربع المعمور من الأرض الذي هو في شمال الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدرك أنّ هذا كله كذب فاضح وأنّ مخرج النيل في عين الجنوب من خارج المعمور ومصبه قبالة الاسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي، وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال"[48].

اضطراب التوراة في أعمار البشر منهم أبناء نوح، فجاء في سفر التكوين: "**وسار أخنوخ مع الله وعاش أخنوخ بعد ما ولد متوشالح مئة سنة فولد بنين وبنات**"[49]. يشير ابن حزم إلى وجود خطأ في النص فيقول: "إذا كان نوح ولد له سام ابن خمسمائة سنة وبعد مائة سنة كان الطوفان، فسام حينئذ ابن مائة سنة"[50].

اعتمد ابن حزم على حساب عمر الأجيال، فإذا تناول حادثة ما من التاريخ العبري يأتي بالنصوص المقدسة ويبين التناقض فيها من خلالها. فكان نقده للتاريخ العبري من خلال النصوص المقدسة ولم يخرج عنها إلى مصادر أخرى تاريخية. إضافة إلى هذا قام بنقد لبعض الأماكن التاريخية وبيّن عدم اتفاق روايات التوراة مع بعضها[51].

كان نقد ابن حزم للتوراة نقدا خارجيا وداخليا وفقا للمنهج النقدي التاريخي توصل فيه إلى أنّ التوراة التي بين يدي اليهود هي عمل بشري محض مليء بالأخطاء.

المطلب الثالث: مشكلة المنهج في علم الدين المقارن عند علماء الإسلام والغربيين

الخطأ الشنيع الذي لابدّ أن نعرج عليه هو أنّ المسلمين ظنوا أنّ علم مقارنة الأديان علم غربي بامتياز وأنّ مناهجه غير مسبوقة إليها، والثغرة في هذا المقام حقيقة تمثلت في شرود بعض الباحثين عن نقطة مهمة جدا هي أنّ العلماء المسلمين خلقوا منهجا لدراسة الأديان لكن لم يطلقوا عليها أي تسمية معينة بالمقابل، فمثلا ابن حزم طبّق منهج النقد النصي في مؤلفاته لكن لم يقم بالإشارة إليه ولا بتسميته بمصطلحه "النقد النصي" كما هو عند علماء الغرب الذين ضبطوا وقيدوا واختصروا المعنى الضمني له في مسمى "النقد النصي".

من المنطقي جدا أنّ الأسبق زمنيا وتاريخيا هو الذي يُؤثّر في الثاني لكن هذا لا يعني وصول كلاهما إلى نفس النتيجة بنفس المنهج، فالمنهج في العصر القديم والحديث قد يكون واحدا لكن وسائل استخدامه متطورة كثيرا في العصر الحديث مقارنة بالقديم. وهذا ينطبق تماما على الفكر الإسلامي والفكر الغربي فمثلا نجد أنّ الدراسات تثبت وجود تأثر بين ابن حزم وباروخ سبينوزا[52] في تطبيق المنهج التاريخي، وغيره باحثون غربيون كُثر تأثروا بالمفكرين الإسلاميين خاصة في نقد التوراة، لكن بعض الدراسات الغربية اليوم تتناسى مكانة العلماء في تاريخ التراث النقدي للتوراة[53].

من المنطقي جدا أن نتساءل حول تأثر الدراسات الغربية بالدراسات الإسلامية في نقد التوراة خاصة وأنّ اليهود النقاد الرواد كانوا من الأندلس كأبراهام بن عزرا[54] الذي قدّم أدلة قوية لدحض مقولة "التوراة من تأليف موسى" وقد كان فيلسوفا خبيرا بالمذهب العقلي وبارعا في لغة التناخ وقد قدم عدة إشارات ورموز يفيد منها التأكيد على تدخل أيادي في التوراة، والسبب في كلامه بالرموز هو صعوبة الجهر بمثل هذا القول حول التوراة وما يترتب عنه من عقاب آنذاك[55]. وقد قام الهولندي باروخ سبينوزا بتفكيك رموز ابن عزرا واستخدامها في النقد، وهذه الإشارات والرموز التي فككها سبينوزا هي نفسها التي توصل إليها ابن حزم وأعادها سبينوزا بنفس الأسلوب وحتى الألفاظ فهل يُعقل أن يستخدم نفس الألفاظ ولا يستخدم نفس المنهج[56]!

كما أنّ ابن عزرا استخدم أفضل المناهج الفيلولوجية وأدق مناهج المقارنات النصية المبنية على المنطق والحساب والتي استفاد فيها من ابن حزم، ولكن الدراسات اليوم لم تشر إلى أنها رجعت إليه في ذلك، خاصة الدراسات التي تناولت إسهامات باروخ سبينوزا في النقد تكلمت عن اعتماده على فكر ابن عزرا لكنها لم تنوّه إلى أنه تلميذ لابن حزم في الأندلس[57].

تقول الباحثة الإسرائيلية حفا لازاروس يافه Hava-Lazarus-Yafeh: "لا شكّ أنّ النقد الذي خصّ به ابن حزم متن الكتاب المقدس يعدّ دراسة متكاملة لا مثيل لها في الكتب الإسلامية في القرون الوسطى"[58].

يمكن أن نستشفّ أسبقية علماء مقارنة الأديان المسلمين في هذا الميدان من خلال الزاد المعرفي الذي قدموه والذي يعود إلى أزمنة سابقة بكثير للزمن الذي طُرحت فيه الأبحاث الغربية في الأديان، منها ما قدمه المسعودي في 346هـ من خلال كتابه "المقالات في أصول الديانات"، "الإبانة عن علل الديانة" و"الإعلام بمناقب الإسلام" لأبي الحسن العامري (381هـ)، "الآثار الباقية عن القرون الخالية" و"تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة" للبيروني (404هـ)، "الفرق بين الفرق" لعبد القاهر بن طاهر البغدادي (429هـ)، "الفصل في الملل والأهواء والنّحل" ابن حزم الأندلسي (456هـ)، "الملل والنحل" للشهرستاني (548هـ)، "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" لابن تيمية (728هـ) وغيرهم كثيرون لا يسع المقام للإلمام بهم جميعا وإنما أشرنا لبعضهم حتى نبيّن الاهتمام المبكّر لعلماء الإسلام بالبحوث العقدية المقارنة منذ القدم ناهيك عن المناهج التي ابتكروها في دراستها وتحليلها.

لا يزال لليوم نوع من الخلاف بين الدراسات الإسلامية والغربية حول أصالة المنهج التاريخي وأسسه وقواعده، إلا أنّ هذا الصراع قد يرتفع إذا تمّ تبيانه بطريقة منهجية توفي كل طرف حقه كاملا، فالنقد التاريخي من حيث نشأته وبوادره والارهاصات الأولى لظهوره تعود إلى الفكر الإسلامي عند ابن حزم الأندلسي قطعا، أما أسس النقد التاريخي وقواعده وضوابطه كما هي عليه اليوم ترجع إلى العلماء الغربيين الذين عملوا على تنظيمه وفق خطوات منهجية يتبعها الباحثين حتى يخلصوا إلى بحث علمي نقدي تاريخي ممنهج. وهذا ما قد أشارت إليه أسماء وردي في كتابها "مناهج نقد العهد القديم عند الغرب"[59] وأشار إليه أيضا عبد الله الشرقاوي في رده على قول حسن حنفي في تحقيقه "للرسالة في اللاهوت والسياسة" لباروخ سبينوزا حيث قال: "يعتبر النقد التاريخي للكتب المقدسة من مكاسب الحضارة الأوروبية بالنسبة لدراسة التوراة والانجيل، نتجت عن تأليه العقل في القرن السابع العشر، قرن سبينوزا واخضاع الطبيعة له"[60]. فعبد الله الشرقاوي يرفض هذا الطرح حيث ذكر في كتابه "مقارنة الأديان": "دراسة فكر ابن حزم النقدي للأسفار المقدسة تبرهن على خلاف ما يذهب إليه حسن حنفي، والنقد التاريخي للكتاب المقدس لم يكن وليد الفلسفة الحديثة بحال وليس من أهم مكاسب الحضارة الغربية الحديثة وليس وليد القرن السابع العشر بل هو وليد الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، وابن حزم سابق للقرن السابع عشر والفلسفة الحديثة بستة قرون أو أكثر، وإنّ حركة نقد الكتاب المقدس في الغرب قد تأثر فلاسفتها وأعلامها بالفكر الإسلامي واستمدوا منه بشكل مباشر وغير مباشر".

لقد كان علماء الأندلس المسلمين أساتذة لأقطاب يهود الأندلس في النظر للنصوص الدينية بعين العقل والاستعانة بالأدوات اللغوية والأصولية والبلاغية خاصة منهم ابن عزرا وابن ميمون وغيرهم من الذين أظهرت كتاباتهم تأثرا كبيرا جدا بالفكر الديني الإسلامي، لذلك تعتبر المناهج النقدية التي طبقها الغرب اليوم على النص الديني من وضع علماء الإسلام مع عدم انكار تطويرهم لها في كثير من الجوانب.

خاتمة

ساهم العلماء والمفكرين المسلمين في إثراء علم الأديان من خلال اهتمامهم بدراسة العقائد والفرق الدينية وتحليل آرائها وسبر الاختلافات فيما بينها منذ أقدم الأزمنة، ويعتبر ابن حزم واحد من هؤلاء الذين أثروا هذا الميدان بدراسات ضخمة.

اشتهر ابن حزم بالنقد التاريخي للتوراة من خلال استخراج جملة التناقضات فيها وتحليلها تحليلا منطقيا عقلانيا ومقارنتها مع ما توصلت إليه الدراسات التاريخية الميدانية كعلم الآثار.

ظهر النقد التاريخي للتوراة عند ابن حزم على وجهين: نقد داخلي اعتمد فيه على القصص التوراتية وناقش مواضع التناقض فيها. ونقد خارجي اعتمد فيه على تتبع التاريخ العبري منذ زمن موسى إلى زمن عزرا الكتاب قصدا منه تتبع تاريخية النص.

يعتمد منهج النقد التاريخي عند ابن حزم على عدة عناصر مستمدة من منهج علماء الحديث المسلمين والتي تتعلق بصحة الرواية ودراسة حال الرواة والجمع بين دراسة صحة المتن والسند.

المنهج التاريخي له أهمية بالغة في العلوم عموما وفي علم الأديان خصوصا، لأنه منهج استقصائي في الدراسات العلمية والاجتماعية والانسانية ولم يعد قاصرا على علم التاريخ فقط.

إنّ بعض مؤلفات ابن حزم تحتاج اليوم للتحقيق والعناية والتحليل خاصة وأنّ ابن حزم من العلماء الموسوعيين الذين يمكن أن نؤلف كتبا من خلال الشروح على كتبهم الأصلية.

تظهر اسهامات ابن حزم في نقد الكتاب المقدس عموما ونقد التوراة خصوصا من خلال اهتمام الدراسات اللاهوتية الغربية بالمادة العلمية التي قدمها في عرضهم لأبحاثهم، ومن خلال تأثر العديد من الفلاسفة واللاهوتيين الغربيين به ومنهم باروخ سبينوزا بشكل خاص.

الهوامش

[1] – ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت، دار الجيل)، ج1، ص3.
[2] – حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، ص605. انظر على الموقع: https://www.kutub-pdf.net.
[3] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص7.
[4] – ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص9.
[5] – المصدر نفسه، ج1، ص315.
[6] – المصدر نفسه، ج1 ص15.
[7] – المصدر نفسه، ج1، ص17.
[8] – المصدر نفسه، ج1 ص29.
[9] – المصدر نفسه، ج1، ص18.
[10] – المصدر نفسه،ج1، ص19.
[11] – المصدر نفسه، ج1، ص20.
[12] – شريف حامد سالم، نقد العهد القديم وتطوره، ط1، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2011م)، ص123.
[13] – خزعل الماجدي، علم الأديان، ط1، (بيروت– مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016م)، ص48.
[14] – المرجع نفسه، ص50.
[15] – ايمانويل كانط: Kant Emmanuel (1723 –1804م) فيلسوف ألماني ولد ومات في كونيغسيرغ بروسيا. تبنى المذهب العقلاني في الفلسفة النظرية والمذهب التجريبي في الفلسفة العلمية. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص513).
[16] – نظرية المعرفة: La Théorie de Connaissance هي البحث في طبيعة المعرفة وأصلها وقيمتها ووسائلها وحدودها. وهي غير االسيكولوجيا التي تقتصر على وصف العمليات العقلية وتمييز بعضها عن بعض دون الفحص عن صحتها أو فسادها. (صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ط1، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973م)، ج2، ص 378).
[17] – أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليلي أحمد خليل، ط2، (بيروت، باريس، منشورات عويدات، 2001م)، م1، ص237.
[18] – المصدر نفسه، م1، ص238.
[19] -ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ; William Benton ; A cociety of Gentlemen in Scotland; 1768; CHICAGO; LONDON; TORONTO; GENEVA; SYDNEY; TOKYO; MANILA; ; volume 6; P780 .
[20] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973م)، ج1، ص227.
[21] - David R. Law, The Historical Critical Method, BLOOMSBURY, LONDON, P1.
[22] - محمد ميرا، في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ط1، (القاهرة، دار النصائر، 2009م)، ص53.
[23] - ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ; William Benton; volume14; P 21.
[24] .- ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ; William Benton ;volume14; P 22.
[25] - أسماء وردي، مناهج نقد العهد القديم عند الغرب،ط1، (دمشق، دار صفحات، 2016م)، ص61.
[26] - المرجع نفسه، ص62.
[27] - أسماء وردي، مناهج نقد العهد القديم عند الغرب، ص67.
[28] - بشير كردوسي، نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، اشراف محسن عقون، أطروحة لنيل درجة الماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1993م، ص204.
[29] - شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2011م)، ص225.
[30] - أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ط1، (القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2014م)، ص107-108.
[31] - حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، ص611. انظر على الموقع: https://www.kutub-pdf.net .
[32] - محمد ميرا، في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ص78.
[33] - شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، ص125.
[34] - شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، ص126.
[35] - عدنان المقراني، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص271- 272. انظر على الموقع: https:// books.google.dz/books.id
[36] - المرجع نفسه، ص174.

[37]- محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ط2، (بيروت، دار الجيل، 1990م)، ص91.
[38]- تث:34: 5.
[39]- ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج1، ص284.
[40]- محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ص92.
[41]- حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، ص616. انظر على الموقع: https://www.kutub-pdf.net.
[42]- ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج1، ص294.
[43]- حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، ص612. انظر على الموقع: https://www.kutub-pdf.net.
[44]- المرجع نفسه، ص618.
[45]- ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج1، ص620.
[46]- تك: 2: 10: 14.
[47]- أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ص104.
[48]- ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص203.
[49]- تك: 5: 22.
[50]- ابن حزم الظاهري الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص212.
[51]- أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ص101.
[52]- باروخ سبينوزا: ولد باروخ سبينوزا في مدينة أمستردام في 24 تشرين الثاني (نوفمبر) 1632م. في عائلة يهودية برتغالية لاجئة في هولندا التي ضمت آنذاك العديد من اللاجئين من اسبانيا والبرتغال بسبب الاضطهاد الديني الذي مارسته الكنيسة على الناس حتى اضطروا إما إلى اعتناق المسيحية وإما إلى مغادرة البلاد مع التنازل عن كل أملاكهم. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، (بيروت، دار الطليعة، 2006م)، ص359).
[53]- بشير كردوسي، نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، ص210.
[54]- ابراهيم ابن عزرا: Ibn Ezra (1089- 1163م) اسباني من دائرة الثقافة الإسلامية. من فحول شعراء العبرية على الطريقة الأندلسية، فلسفته أفلوطينية وتنتشر في تفسيراته للتوراة. اشتهر كثيرا بكلامه حول الأخطاء التاريخية في التوراة، وهو أحد الذين تأثر بهم باروخ سبينوزا كثيرا في نقد التوراة. (عبد المنعم الحنفي، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، ص36).
[55]- محمد خليفة حسن، أحمد محمود هويدي، اتجاهات نقد العهد الجديد،ط1، (القاهرة، دار الثقافة العربية، 2001م)، ص29.
[56]- بشير كردوسي، نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، ص210.
[57]- شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، ص124.
[58]-شريف حامد سالم، نقد العهد القديم، ص126.
[59]- أسماء وردي، مناهج نقد العهد القديم عند الغرب، ص60.
[60]- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تحقيق حسن حنفي، ط1، (بيروت، جداول للنشر، أكتوبر 2011م)، ص24.

قائمة المراجع والمصادر:

بالعربية:

1- الكتاب المقدس.

2- ابن حزم الظاهري الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (بيروت، دار الجيل)، ج1.

أحمد محمود هويدي، نقد التوراة في الفكر اليهودي والمسيحي والإسلامي، ط1، (القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2014م).

3- أسماء وردي، مناهج نقد العهد القديم عند الغرب،ط1، (دمشق، دار صفحات، 2016م).

4- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليلي أحمد خليل، ط2، (بيروت، باريس، منشورات عويدات، 2001م).

5- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، تحقيق حسن حنفي، ط1، (بيروت، جداول للنشر، أكتوبر 2011م).

6- بشير كردوسي، نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، أطروحة لنيل درجة الماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1993م.

7- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، (بيروت، دار الطليعة، 2006م).

8- خزعل الماجدي، علم الأديان، ط1، (بيروت، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016م).

9- شريف حامد سالم، نقد العهد القديم وتطوره، ط1، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 2011م).

10- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ط1، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1973م)، ج2.

11- عبد المنعم الحنفي، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي.

12- محمد خليفة حسن، أحمد محمود هويدي، اتجاهات نقد العهد الجديد، ط1، (القاهرة، دار الثقافة العربية، 2001م).

13- محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، ط2، (بيروت، دار الجيل، 1990م).

14- محمد ميرا، في علم الدين المقارن مقالات في المنهج، ط1، (القاهرة، دار النصائر، 2009م).

المراجع الالكترونية.

1- حامد طاهر، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم. انظر على الموقع: https://www.kutub-pdf.net.

2- عدنان المقراني، نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، انظر على الموقع: https:// books.google.dz/books.id

قائمة المصادر الأجنبية.

1- David R. Law, The Historical Critical Method, BLOOMSBURY, LONDON.

2- ENCYCLOPEDIA BRITANNICA ; William Benton ; A cociety of Gentlemen in Scotland; 1768; CHICAGO; LONDON; TORONTO; GENEVA; SYDNEY; TOKYO; MANILA; volume 6.

LIST OF REFERENCES AND SOURCES IN ROMAN SCRIPT

1-alkitab almukadas.

2-ibm hazm alzzahiri al'amdalusi, alfisal fi almilal wal'ahwa' wa almihali, (bayrut, daru algil), g1.

3-ahmad mahmud huwaydi, nak°d altaw°rat fi alfik°r alyahudi wa almasihi wa alislami, t1, (alkahira, ruyatu lilmasr wa altawzi'i, 2014m).

4-asma' wardi, mamahig nakd al 'ahd al kadim 'imda al garbi,t1, (dimas°k, dar° safahat, 2016m).

5-aumd°ri lalam°d°, mawsu'atu lalamd al fal°safiyati, ta'°rib h°lili ahmad halil, t2, (bay°rut, baris, mamhuratu '°widat, 2001m).

6-baruh° s°bimuza, risala fi al lahut wa al siyasati, tahkik hasam° hamafi, t1, (bay°rut°, gadawil° li almas°ri, 'uktubar° 2011m).

7-basir° kar°dusi, mak°d al taw°rat bay°a al fik°ru al is°lami wa al fik°ru al gar°bi al mu'asiri, aut°aruhat limay°li daragati al magis°tir°, kuliyatu ausulu al dimi, gami'atu al amir° 'ab°du al kadir°, kasamtimat, 1993m.

8-gur°g tarabisi, mu'°jam al falasifat, t3, (bay°rut°, dar al tali'at, 2006m).

9-hamid° tahir°, mamhagu al makdi al tarihi 'imda ibmu haz°m°. um°zur° ila' al maw°ki': **https://www.kutub-pdf.net**.

10-huza'°l° al magidi, 'ilmu al ad°yami, ta1, (bay°rut°, muasasat mua°mimuma bila hudud, 2016m).

11-s°rif° hamid° salim°, mak°d° al 'ah°di al kadimi wa tatawuruhu, ta1, (al kahirat, maktabatu mad°buli, 2011ma).

12-saliba gamil, al mu'°gam° al fal°safi, t1, (bay°rut°, dar al kitabi al lub°mami, 1973m), g2.

13-'ab°d° al mum°'im al hanafi, maw°su'at falasifat wa mutasawifatu al yahudiat, mak°tabat mad°buli.

14-'ad°mam° al muk°rami, mak°du al ad°yami 'imda ib°mu haz°m° al am°dalusi, al ma'°ha al 'alam li al fik°ri al is°lami, um°zur° ila' al maw°: **https://books.google.dz/books.id**.

15-muhamad halifat hasam, ah°mad0 mah°mud huway°di, itigahat nak°du al 'ah°du al gadid, t1, (al kahirat, dar al takafat al arabiat, 2001m).

16-muhamad 'ab°d° allah al sarkawi, fi mukaramat al ad°yami, ta2, (bay°rut, dar al gil, 1990m).

17-muhamad mira, fi 'il°mi al dimi al mukarini makalat fi al manahigi, t1, (al kahirat, dar al nasair, 2009m).



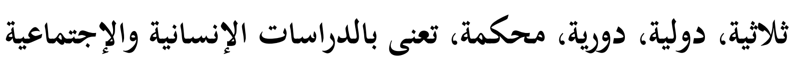


JOURNAL INDEXING



مَجَلَةُ اَلتُرَاثْ

AL TURATH Journal (ALTJ)



ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والإجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات



Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies
Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934 ISSN: 2253-0339 E-ISSN: 2602-6813











































الكشاف العربي
للإستشهادات المرجعية

